المؤتمر العالمي السادس
لبديع الزمان سعيد النورسي

العولمة والأخلاق

في ضوء رسائل النور

(البحوث العربية)

ISBN: 975-6438-14-2
Publication: Söz Basım
Year: 2002, İstanbul

العولمة وأمراض الأمم
دراسات في فكر بديع الزمان النورسي

الدكتور عمار جيدل(*)

تعيش البشرية في الوقت الراهن تبشيرا جديدا يطمح إلى غرس حب أنموذج واحد موحّد للثقافة والتصور الحضاري وما يترتّب عليهما من أخلاق شخصية واجتماعية، فما موقف النورسي من الأحادية التي يراد فرضها على الإنسانية على تنوّع دياناتها وخلفيتها الفكرية؟

رام هذا الأسلوب عبر التاريخ تهيئة النفوس لقبول الأنموذج (المطلق) والنهائي في الفكر (الإنساني)، حسب رأي أصحابه، إذ لا يمكن أن ينتج الفكر البشري أحسن منه في حاضر الأيام ومستقبلها (نهاية التاريخ)[1] وفق ما يراد تسويقه من رؤى ومعارف، وإذا قبلت النفوس هذه الأفكار الخطيرة، فلا شك أنها ستبعد العقل عن التفكير في تجاوز هذه المعضلة لأنها لا تقدر على تجاوزه، والموقف الأوفق حسب تقديرهم العمل على التأقلم مع المعطى الجديد.

إنّ التسليم بالقضية من الناحية النفسية والفكرية، معناه زوال التنوّع كظاهرة إنسانية متجلية في عالم الأفكار والسياسة والاقتصاد، بل قد يطال حتى الاجتماع ومتطلباته، وهذا أهم ما ترمي إليه كل فلسفة إقصائية.

وتعد مواجهة الإقصائية القديمة مؤسسة لمواجهة كل إقصائية، ولعل أهم الأفكار الإقصائية في العصر الراهن، العولمة، المساهمة في تهيئة نفوس وعقول المغزوين لقبول ذلك الأنموذج، وبذلك يحققون تجنيدا مجانيا لجنود ثقافيين غير رسميين يدافعون عنهم في بلدان المغزوين وبين بني جلدتهم ودينهم.[2]

(*) أستاذ بكلية العلوم الإسلامية –جامعة الجزائر

ومنتهى ما تطمح إلى تحقيقه أن يتولى تنشيط همم المغزوين للتعلّق بالغازي أبناء تلك البيئة، وخاصة من أولي الحظوة، يتولون في ذات الوقت مهمة تثبيط عزائم بني جلدتهم، فيصبح مجرّد التفكير في نقد هذا الأنموذج في الرؤية الحضارية جريمة لا تغتفر، بل يعد ضربا من الجنون والتخلّف والهمجية، أما العمل على المقاومة الفكرية على الأقل، فسيعرّض صاحبه للتصنيف في قائمة المصابين بالطاعون الذي يجب تطهير العالم منه ومن أفكاره (الخبيثة)[3].

وضع العلامة النورسي وصفة طبية استقاها من صيدلية القرآن الكريم، شخّص من خلالها مرتكزات هذا المسلك، فقد بيّن أنّ مبنى تلك الطريقة تثمين أمراض فتّاكة حلت بالأمة الإسلامية و غيرها من الأمم على تنوّع مشاربها الثقافية والدينية، فقد أصبح اليأس قانون حياة، ومات الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية، وشاع حب العداوة، واضمحلت المعرفة بالروابط النورانية، وسرى الاستبداد في المجتمع سريان النار في الهشيم، وحصرت الهمم في المنفعة الشخصية[4]. وتلك هي رأس ما تستثمره العولمة فينا تمكينا لمشروعها من المجتمع، فمن التيئيس في المقاومة القول"ليس أمامكم و لا لديكم أي خيار آخر"وهي كلمة تلخّص بأمانة ماذا يراد من كلمة عولمة...

والقائلون بذلك – كما يقول أحد الباحثين–[5] قد استقالوا لأسباب عديدة، بل إنهم عملوا على عولمة الاستسلام كأسلوب للحياة"

ويؤكد في موضع آخر صحة تشخيص النورسي، فيبيّن أن العولمة "تتغذى من العجرفة الثقافية التي تستمد أصلها من الجهل واللامبالاة تجاه أنساق قيم أخرى وتجاه حقها في الوجود، هذا يؤدي بشكل تدريجي وفعلي إلى نـــزعة ثقافية تسلطية عالمية" مؤداه افعل مثلي إن كنت تتشبّث بحقك في الوجود"[6]

و لعل أهم ما يقرر صحة التشخيص الآنف الذكر، أن نجاح التيئيس والتجهيل مرتبط عضويا بضياع الصدق المرتبط أساسا بالأنانية، والتي سماها النورسي بالحرص على المنفعة الشخصية، المولّدة للاستبداد.

يرى هذا التحليل في فكر رافض العولمة ومتبنيها، فترى المتبني يسعى جاهدا من غير شعور منه أحيانا إلى زرع اليأس والتجهيل بثقافة الأمة وتمكين الاستبداد والأنانية بوصفها أهم عناصره[7]

تلك هي أمراض الأمم، وذلك ما تطمح إلى استغلاله العولمة في العصر الحاضر، فما السبيل إلى معالجتها في فكر النورسي؟، وما مسلك تجاوز الأفكار التي تريد العولمة تسويقها في بلاد المسلمين؟وما موارد تثمين مضامين العولمة في أيامنا الحالية؟

من منطلق ما سبق تقريره يتّضح أنّ مواجهة العولمة في فكر النورسي، مواجهة لنوع الفكر الإقصائي عبر التاريخ، وبالتالي فالمواجهة ليست إلا من قبيل أفكار النورسي المحيّنة أو المؤوّنة (من تأوينها أو تحيينها)، وخاصة تلك التي نبّه فيها إلى أهم الأمراض الفتّاكة التي يستثمرها الإقصاء عبر التاريخ.

يذكر العلامة النورسي في مجموع رسائله ما يستشف منه كيفية مواجهة الأمراض الفتّاكة المسلّطة علينا، وتتلخّص تلك الأمراض وفق تعبيره في النقاط الآتية:

أولا:حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حبّ العداوة.

رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة..

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

مردّ كل ذلك على قول النورسي محاكم التفتيش المدنية لهذا العصر، ومحاكم التفتيش المدنية في هذا العصر، العولمة، تلك التي أنجبت كسابقتها لقطاءها – غير الشرعيين – باستعمالها وسائل رهيبة في تلقيح بعض الأذهان، وتجري بهم حقدها الدفين على الإسلام للثأر منه، محاولةً فتح الباب أمام ما يصرف المسلمين عن الدين، أو جعلهم في الأقل مهملين له، أو بإمالتهم نحوها، أو التخلي عن الإسلام بإلقاء الشبهات والشكوك في العقول، وتشيع بهذا مكراً سيئاً هو الآتي:

أيها المسلم! تأمل أينما وجد مسلم فهو فقير، غافل، جاهل إلى حد ما، بينما مدني هذا الوقت — العولمي– أينما حلّ فهو متحضر، يقظ، ، صاحب ثروة... الخ..

بتحيين[8] نص نصيحة النورسي، وجعلها موافقة لمقتضى الحال من الناحية الفكرية، نلاحظ أنّه يحذّر من كل فكر غالب متدثّر بالثقافة والحكمة والعلم، وإن تسمى في السابق نصرانية أو ما تلبس بها، فهو في زماننا متّصف بصفاتها ومتحل بأساليبها في قهر الآخرين، فقد أقام مثلها محاكم التفتيش الجديدة التي ترمي إلى إبعاد المسلمين عن دينهم،

لهذا فتأوين نصيحته ميسّر بحذف النصرانية وأوروبا وتعويضها بالعولمة، فتصبح على النحو الآتي:

أيها المسلم لا ترخِ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا وكياننا تجاه الدمار الذي تولّده هذه النتيجة المخيفة لتقدم فكر كل غالب وهو في وقتنا العولمة، بل عض عليه بالنواجذ واستعصم به بقوة، وإلا فمصيرك الهلاك. لا تفرّط فيه إنّه نقطة استنادنا تجاه المصائب والدواهي، التي ألقت بثقلها العظيم، عِظم الأرض، على العالم الإسلامي، هي الإسلام الذي يأمر بالاتحاد النابع من المحبة، وبامتزاج الأفكار الناشئ من المعرفة، وبالتعاون الذي تولده الاخوة. إنّه نقطة استناد قوية تحرّك الأرض بموجبه[9]، وتحقق الوحدة بجميع عناصرها في ظله، يشير إلى هذا المعنى في سياق عرض أهمية الوحدة والتجمع في قضاء الحاجات، فيقول رحمه الله:ثابت حكمة: أن اجتماع الأفراد الكثيرين يولّد الحاجات، فلا يستوعب إنتاج الأرض تلك الحاجات التي تتزايد بأسباب كثيرة – كالتقليد وغيره – ومن هنا تصبح الحاجة أم الاختراع والصناعة، وحب الاستطلاع معلّم العلم، والضيق الروحي مولد السفاهة.[10] كما التوجّه نحو الصناعة والميل إلى المعرفة ينشأ مع الكثرة، والتعرف ينتج التجارة، والتعاون الاشتراك في الأعمال، مثلما يولّد التماس تلاحق الأفكار والمنافسة والتسابق[11]

ننتقل بعد هذه الفرشة إلى البيان التفصيلي لطرق العلاج:

أولا:حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه.

تتأسس العولمة كغيرها من الأفكار الشمولية الإقصائية على استغلال اليأس المهيمن على عقولنا وقلوبنا، بفعل الزلزلة المعنوية العظيمة التي أصابت المسلمين، ذلك أنّ العولمة لا تختلف عن الزلزال الذي أصاب المسلمين في أفكارهم وعاداتهم بل ومعنوياتهم في الأيام السالفة.

يؤكد هذه المعاني موقف كثير من الخلق من العولمة نفسها، فقد هيّئت نفوس المغزويين لقبول الأنموذج الواحد، وبذلك يحققون تجنيدا مجانيا لصالح الفكر الغالب[12]، خاصة وقد تولّى بعضنا تنشيط الهمم للتعلّق بالأفكار العولمية، ومرد كل ذلك الزلزال لذي أصاب العقول والقلوب–كما سبق أن ألمحنا– جرّاء اليأس المهيمن، وقد صوّر العلامة هذا الزلزال فقال: "لقد أذاقت هذه الزلزلة العظيمة الناس مصيبةً معنوية أدهى من مصيبتها المادية الفجيعة، تلك هي الخوف والهلع و اليأس والقنوط التي استولت على

النفوس، حيث أنها استمرت ودامت حتى سلبت راحة اغلب الناس ليلاً.وعمّ القلق والاضطراب أغلب مناطق البلاد.. تُرى ما منشأ هذا العذاب الأليم وما سببه؟[13]

إنها على قول النورسي أدهى من المصيبة المادية التي يترنّح فيها مجتمعنا الإسلامي، أليست العولمة مؤسسة لمجموعة من الأمراض المعنوية ؟بفعل الزلزال الذي أحدثته فينا- كسابقتها-، يصوّر النورسي أسباب الداء ويلخّصها في اليأس المهيمن، ذلك اليأس الذي يجعلنا مهيّئين لقبول المركوبية والاستعمار، فما هو دور اليأس حسب رأي النورسي؟

1 - خطورة اليأس و دوره التدميري:

يظهر أن لليأس دورا خطيرا لا تجدي المعرفة في علاجه، يقول النورسي:" تُرى هل يُجدي أعظم علومكم، وأعلى صروح حضارتكم وأرقى مراتب نبوغكم وأنفذ خطط دهائكم شيئاً أمام هذا السقوط المخيف المريع للإنسان؟ وهل يستطيع الصمود حيال هذا اليأس المدمّر للروح البشرية التواقة إلى السلوان؟"[14]، وتتجلى تلك الوظيفة التدميرية فيما يأتي:

أ/ رأس كثير من البلايا الأخلاقية:

أغلب ما يفعله المسلم منافيا للإسلام ناشئ من اليأس والعناد لغفلة أبعدته عن النظر في عواقب الأمور، يشهد لهذا أنّ المصاب بالوساوس المتردد في شأن نفسه، يشرع بالقيام بأعمال وحركات منافية للإسلام، ولسانه يردد: ليكن ما يكون فلا أبالي...[15]

ب/ القضاء على أصول السعادة و تمكين السفاهة:

اليأس سبب قوي في استئصال أصول السعادة وتضييق الصدر ومنبع السفاهة والتفاهة، ذلك أن اليأس مخبوء في سوء الظن وينخر السعادة ويقتل الحياة، وهو أصل الضيق ومنبع السفاهة وسوء الظن [16]

ج / الألم الذي يطاق:

يعد اليأس عاملا رئيسا في الألم المهيمن على القلوب، ذلك لأنه شعور يحرق الوجدان حتى لا يكاد يطاق صراخه من شدة الألم.. لهذا يقول النورسي: ألا إن ألم اليأس لا يطاق حقاً![17]

د / اليأس قتل دائم و منبع الضلال :

يبعث الأمل الحياة في الناس، واليأس يقتلهم. لأن "اليأس داء قاتل"[18]، يؤكد هذا المعنى قوله المحيّن: "إن مما أملت عليّ تجاربي في الحياة وتمخض فكري عنه هو: أن اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الإسلامي. فهذا اليأس هو الذي أوقعنا صرعى

– كالأموات – حتى تمكنت دولة صغيرة – أمريكا– بفكرة – العولمة – من التحكّم في دول كبيرة –كما هو شأننا مع العولمة–، فتستعمرها وتسخرها في خدمتها.. وهذا اليأس هو الذي قتل فينا الخصال الحميدة وصرف أنظارنا عن النفع العام وحصرها في المنافع الشخصية.. وهذا اليأس هو الذي أمات فينا الروح المعنوية التي بها استطاع المسلمون أن يبسطوا سلطانهم على مشارق الأرض ومغاربها بقوة ضئيلة، ولكن ما أن ماتت تلك القوة المعنوية الخارقة باليأس حتى تمكّن الأجانب الظلمة – منذ أربعة قرون – أن يتحكموا في المسلمين والمستضعفين ويكبلوهم بالأغلال.[19]

تلك هي وسيلة العولمة في استعمارنا من جديد قبل الحلول ببلداننا، إن اليأس منبع ضلال الفكر وظلمة القلب وضيق الروح[20]، وتلك أهم عوامل تمكين فكر العولمة .

هـــ/ يجعل صاحبه أضحوكة للشيطان:

يجعل ضيق الصدر صاحبه لقمة سائغة لدسائس الشيطان، "فيقع في اليأس والقنوط. ويكون بيأسه هذا أضحوكة للشيطان الذي ينفث فيه يأسه القاتل، ويضرب دوماً على وتره الحسّاس، وينفخ في التباسا ته ويثيرها، فإما أن يخلّ بأعصابه وعقله، أو يدفعه إلى هاوية الضلالة.[21]

و / يولّد الخوف و قبول الإذلال و الإهمال الاجتماعي:

اليأس أبو الخوف وقبول الإذلال، إذ يتولّد من مرضي اليأس والحقد داء الخوف وعلّة الضعف ومرض الذلّة المستولي على القلب[22]، وينجم عنه ضرورة العطالة، والإهمال الاجتماعي بسبب عدم المبالاة والتملّص من المسؤولية، فيخلد صاحبه إلى الكسل، قائلا: "مالي وللناس، فكل الناس خائرون مثلي" فيتخلى عن الشهامة الإيمانية ويترك العمل الجاد للإسلام".[23]

وما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد، ويقتلنا على مرأى منا، فنحن – كما يقول بديع الزمان – عازمون على أن نقتصّ من قاتلنا، فنضرب رأس ذلك اليأس بسيف الآية الكريمة: (**لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّه**) (الزمر: 53).[24]

ثانيا: دواء اليأس

جلي من الفرشة الآنفة الذكر أنّ المبادئ الحيّة فينا أساس الدواء، تلك القواعد والأسس التي ينبغي أن تبقى حيّة فينا ما حيينا، فإذا ما غابت فإنها ستمكّن لليأس من

أنفسنا، وبذلك يمر تيار الفكر الوافد – العولمي أو غيره – بديارنا دون تفكير في المقاومة لفقد عناصر الإغراء بها، لهذا فنحن في حاجة إلى مجموعة من العناصر لتجسيد الدواء.

أ/ الحاجة إلى المبادئ المجنّدة في الخير الإنساني العام:

لعل من أهم ما يخلّصنا من اليأس قوة معنوية تنتظر الخلاص من الفساد وأهله، ذلك أنّ البشر في كل وقت وكل عصر بحاجة إلى "معنى" المهدي الذي يكون أساساً للقوة المعنوية، وخلاصاً من اليأس، فيلزم أن يكون لكل عصر نصيب من هذا المعنى.وكذلك يجب أن يكون الناس في كل عصر متيقظين وحذرين من شخصيات شريرة تكون على رأس النفاق وتقود تياراً عظيماً من الشر، وذلك لئلا يرتخي عنانُ النفس بالتسيّب وعدم المبالاة.[25] وقائد تيار الشر في العصر الراهن العولمة، فهي توجب كسابقتها اليقظة والحيطة والحذر. ومواجهتها تفرض الاستناد إلى نقطة استناد قوية تستطيع أن تغري المستندين إليها بتحريك الكرة الأرضية من مكانها[26]، إنّ نقطة استناد كالإسلام تمكّن الإنسان الصغير الضعيف من أن يدير أعظم الأشياء كالكرة الأرضية، فإذا كان بمقدوره أن يحرّكها، فإن من هو أقل منها لا يضعفه ولا يمنعه من تجاوزها، لهذا فالعولمة مهما طغت وتجبّرت، فإن الإسلام كفيل بأن يكون نقطة استناد في مواجهتها واستثمار خيرها لصالح الإنسانية جمعاء.

ب/ الاعتبار من الماضي:

أكبر عوامل دفع اليأس الاعتبار بالماضي في فهم الحاضر والتخطيط للمستقبل، "اجل! إن العوام الذين لم يبلغوا مرتبة إدراك سر القدر لهم مواضع لاستعماله، ولكن هذه المواضع تنحصر في الماضيات من الأمور وبخصوص المصائب والبلايا والذي هو علاج اليأس والحزن، وليس في أمور المعاصي أو في المقبلات من الأيام، والذي ينتفي كونه مساعداً على اقتراف الذنوب والتهاون في التكاليف.[27]

ج / المحبة و الشفقة:

يتجاوز اليأس بالمحبة والشفقة والصبر على البأساء والضراء، والعلامة الدالة على كون تلك المحبة لله وفي سبيله فهي الصبر مع الشكر عند البلاء، ولا سيّما عند الموت والترفع عن اليأس والقنوط وهدر الدعاء بل يجب التسليم بالحمد عند القضاء.[28]

د/ صيانة قوة الإيمان:

يدفع اليأس بنور الإيمان المتألّقة من وجه القرآن المعجز البيان، فتضيء بأنوارها الساطعة، ما لو تضاعف ما ينتاب المسلم من صنوف الوحشة وأنواع الظلمات أضعافا

مضاعفة، لكانت تلك الأنوار كافية ووافية لإحاطتها[29]، لأننا متيقنون أنّ الإيمان – ببثه هذا الفرح والسرور في دنيانا هذه – يثبت أن حقيقته بذرة تحمل من الحيوية ما لو تجسمت لنبتت عليها جنة خاصة لكل مؤمن، ولأصبحت له شجرة طوبى.[30]

هـ/ التفاؤل باستثمار خفاء الأجل:

خفاء الأجل يدفع اليأس ويرفع القوّة المعنوية، ذلك أنّ" الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الأجل مجهولاً وقته، إنقاذا للإنسان من اليأس المطلق ومن الغفلة المطلقة.. أي أن الأجل متوقع مجيئه كل حين، فإن تمكّن من الإنسان وهو سادر في غفلته يكّبده خسائر فادحة في حياته الأخروية الأبدية... وبالتالي يذكّر بالآخرة ويستحضر الموت في الذهن فيتأهب له. بل يحدث أن يربّحه ربحاً عظيماً، فيفوز خلال عشرين يوماً بما قد يستعصي استحصاله خلال عشرين سنة كاملة.[31]

و / الرجاء مع العمل:

الرجاء مزيل لليأس إذا صاحبه العمل، بفضل الهداية المستفادة من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فهي بلسمٌ شافٍ، ودواءٌ ناجع لذلك الداء الوخيم الذي يظن أنّه بلا دواء، ويبدل ذلك اليأس القاتم إلى نور الرجاء الساطع.[32]

ز / أهمية الإيمان في دفع اليأس:

الإيمان في رسائل النور ليس من قبيل الكلام الذي يلاك، ثم يرمى، بل هو موقف نظري تترجمه الأعمال المتجلية في الموقف المعيش، ولهذا المسلك دور هام في دفع اليأس واستئصاله من قلوب وعقول المؤمنين، إذ تكاد تنطفئ شعلة حياة المسلم و لا يجد في ظل الظروف الراهنة المعولمة، الصبر والسلوان إلا في الإيمان، الإيمان الذي يقابل اليأس القاتل بالأمل في حياة أسعد، ولو لا هذا الإيمان لشعر المسلم الضعيف – الذي هو أجدر بالشفقة والرحمة – باضطراب نفسي وقلق قلبي، ولضاقت عليه الدنيا بما رحبت، ولتحوّلت سجنا رهيبا، ولانقلبت الحياة إلى عذاب أليم قاس.[33]

ح / الحرص على العبادات:

من مقتضيات الإيمان أداء العبادات، وساعة العبادة كفّارة لبعض ما ارتكبنا من أخطاء وذنوب، ربما كانت السبب في سجن بعضنا، أليست العولمة سجنا جديدا يراد تطويقنا به؟

وما دفع به السجن الصغير يدفع به السجن الكبير، فقد دفع الأول بصرف الأوقات في الصلوات، فتتحوّل بذلك ساعات الابتلاء وأوقات المحن إلى يوم عبادة، فكأن

الساعات الفانية اكتسبت ببركة ساعة العبادة صفة الخلود، وتصبح في حكم ساعات أبدية باقية، فتنـــزاح سحب اليأس ويتبدد عن الروح ظلام القنوط[34]، اليأس والقنوط المطلق الذي من مضامينه، الشأن الحضاري والفكري والاجتماعي، فادفع ذلك اليأس المطلق بالعبادة فإنها أنفع لك ولدينك وأمتك إذا استحضرت مقاصدها، نافعة في التأسيس للإيمان ودفع الأفكار المزاحمة في كل حين، بشرط تعهّده بالاستغفار والأوبة الدائمة إلى الله تعالى.[35]

ط/ التساند بين البشر:

يعد التساند أنفذ سبيل في دفع الأفكار الإقصائية التي على رأسها في أيامنا هذه العولمة، وألزم ما ينبغي لنا عمله في هذه الأيام استثمار ما وضعه النورسي لمواجهة التيارات الفكرية والسياسية الغالبة في وقته، فقد ذكر أنها تجابه بعدم القلق والاضطراب، وعدم اليأس، وإسناد كل منا الآخر وإمداد روحه المعنوية، وعدم الخوف، واستقبال هذه المصيبة بالتوكل، وعدم الاكتراث بأقوال الصحف التي يطلقونها جزافاً ويستهولون كل حبة صغيرة، بل علينا استصغار ما استعظموه من أمور.[36]

ويفرض هذا التساند الصبر والحيطة مع كمال الاستسلام لله والثبات على الخدمة وعدم الوقوع في خيبة الأمل، وعدم اليأس من ظهور خلاف المأمول، وعدم التزعزع أمام أعاصير مؤقتة زائلة[37]، لاحظ جيّدا أنه رغم غلبة تلك الأفكار — أعاصير – وخطورتها فقد اعتبرها مؤقتة، أي أنها وإن طال أمدها فمآلها الزوال، ذلك حال كل فكرة غالبة عبر التاريخ، والأفكار الغالبة في وقتنا — العولمة – مآلها الزوال، فتذهب العولمة ويبقى الإنسان[38], أكبر شاهد على ذلك التجربة التاريخية التي تؤكد أن الفكر الإقصائي أيامه قصيرة مهما طالت، وبالتالي فلا خوف على الإنسان، وخاصة الإنسان المؤمن إذا تعلّق بمبادئ دينه وتمثّلها.

ي/إدخال السرور على قلوب المغبونين:

يدخل المؤمن بالتزامه السرور على نفسه ويسعد الآخرين بحاله قبل مقاله، لأن صحوته ستجعله – بإذن الله – مناط سلوان ومدار تسلٍ لأولئك المساكين و أمثالهم، وتجعل منك طبيباً حقاً يشع نوراً إلى القلوب وينثر البهجة في النفوس.[39] وبذلك يسهم في دفع اليأس من تجاوز العولمة.

كما يسهم بهذا العمل في الرفع من القوة المعنوية بالبشرى الصادقة، إزالة لليأس المخيم على آهل الإيمان، فقد كان الشيخ رغم الجو الحالك يبشّر بنور محيط واسع في

دائرة عظمى في عالم السياسة و الحياة الاجتماعية [40]، والسير على منهاجه يقتضي التبشير في عصرنا بما بشّر به الشيخ رحمه الله، دون نظر في الأفكار المزاحمة، فإنها وإن طال أمدها آيلة إلى الزوال، ويبقى الإسلام شامخا وخالصا من الشوائب، تلك هي الحقيقة فهل نكون أهلا لنيلها؟ إننا لن نكون كذلك إلا إذا تجاوزنا الحرص بالقناعة وسعينا باستمرار لتنمية قدراتنا الإيمانية بما يوافق مطالب الزمان، وهذا ما يدعونا إلى تجسيد الحيوية الإيمانية على مدار الزمان.[41]

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

استفادت الأفكار الإقصائية على مرّ التاريخ من العداوة بسبب موت الصدق الذي أريد إفناؤه في بيئتنا الإسلامية، فقد كان لفقده أثر وخيم علينا ماضيا وحاضرا وحتى مستقبلا إن استمر لا قدر الله، عالج النورسي هذه المعضلة وحددّ أسباب هذا الداء وخطورته وعلاجه.

1 / خطورة فقد الصدق في حياة الأمة:

حديثناعن الصدق بهذا الصدد بوصفه عاملا مهما في التأسيس للتواصل الاجتماعي والمعرفي بين أفراد الأمة، فقد كان فقده سببا في تهيئة النفوس لقبول الفكر الوافد على تنوّع مشاربه.

أ- سبب فقده التنافر:

يسبب فقد الصدق التنافر، ذلك أنّ الجماعات البشرية إن لم يكن بينها وحدة مبنية على الصدق والاستقامة، لأنها كلما زادت عددا صغرت ودبّ فيها الفساد والانحلال[42].

ب- موت الصدق نذير شؤم:

إذا انقطعت عرى الصدق والجدية من الأمة صارت كهشيم تذروه الرياح.[43] تتقاذفها الأرجل، نظرا ليسر السيطرة عليها من داخلها، بواسطة خدمة فكرة الغالب الوقتي، أولئك السدنة الجدد، الذين مات الصدق فيهم، فأرادوا إماتته في الأمة ليسهل تسويق أفكار الغالب الحالي، وهو مسلك العملاء، فاقدي الصدق على مرّ تاريخ الإنسانية.

2- أهمية الصدق:

أ – الصدق أساس الإسلام:

الصدق هو أس أساس الإسلام، أساس عظيم وجوهر ساطع، وواسطة العِقد في سجاياه الرفيعة ومزاج مشاعره العلوية. فعلينا إذا أن نحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية في نفوسنا ونداوي به أمراضنا المعنوية[44]. فهو أساس الإسلام، وهو خاصة الإيمان، بل الإيمان صدق.. وهو الرابط لكل الكمالات.. وهو الحياة للأخلاق العالية.. وهو العرق الرابط للأشياء بالحقيقة.. وهو تجلّي الحق في اللسان.. وهو محور ترقي الإنسان.. وهو نظام العالم الإسلامي.. وهو الذي يُسرع بنوع البشر في طريق الترقي – كالبرق – إلى كعبة الكمالات.. وهو الذي يصيّر احمد الناس وأفقره أعزّ من السلاطين.. وبه تفوّق أصحابُ النبيّ عليه الصلاة والسلام على جميع الناس.. وبه ارتفع "سَيّدنا محمد الهاشميّ" عليه الصلاة والسلام إلى أعلى عليين مراتب البشر.[45]، إنّه طريق التودد إلى الحق والتعبّد له[46]، ذلك لأن ماهية الإيمان الصدق، إن بقاء حياتنا مرهونة بدوام الإيمان والصدق والتساند.... والإيمان إنما هو صدق وحقيقة. وعلى هذا فالبون شاسع بين الصدق والكذب بُعدَ ما بين المشرق والمغرب.وينبغي أن لا يختلط الصدق والكذب اختلاط النور والنار، رغم محاولات السياسة الغادرة والدعاية الظالمة خلط أحدهما بالآخر، فاختلطت كمالات البشرية ومثلها بسفسافها ونقائصها[47]، تلك هي أساليب كل غالب في جميع الأزمنة وفي كل الأمكنة، وتلك وظائف الإيمان في عصر العولمة وغيره.

ب – أساس انتظام الأخلاق:

حياة الأمة الإسلامية مربوط وجودا وعدما بوجود الصدق، بوصفه ضابط أخلاقها، لأن الأخلاق العالية تتّصل بأرض الحقيقة بالجدية، وان إدامة حياتها وانتظام مجموعها إنما هي بالصدق[48]، إنّه عقدة — أساس – الحياة في حياة الإسلام الاجتماعية[49]، لأنّه أساس النجاة وعروته الوثقى[50]

ج/ الأثر الإيجابي للصدق:

الصدق بالحال قبل المقال يسوق المخالف إلى الاقتناع بأنّه مسلك النجاة، وطريق التأسيس للتواصل بين البشر، لأننا بالصدق والاستقامة اللائقين بالإسلام، نساعدهم للدخول في الإسلام أفواجاً[51]، والانخراط معنا في سلك مواجهة الظلم العالمي المسلّط على المستضعفين من قبل المستكبرين الجدد المتدثرين بفكرة العولمة.

د / الصدق و الواقع:

تبليغ الصدق والدفاع عنه ليس محمودا بإطلاق وإن كانت القاعدة العامة مثبتة له، إلا أنّه ليس كل صدق كذلك في حقيقة الأمر، إذ ليس صوابا أن تقول كل الصدق، فإذا ما أدى الصدق أحيانا إلى ضرر فينبغي السكوت.[52]

ثالثاً: حبّ العداوة.

المنخرط في سلك الفكر الغالب الوقتي يضطر إلى عداوة أهله، بفعل غربة فكرته عن المجتمع، وقد لجأ الشيخ إلى تحديد خطورة تلك العداوة وسبل علاجها.

خطورة العداوة:

أ- العداوة سبب في الصراع:

العداوة داء خطير يمكّن من النفوس الثعبانية، تلك النفوس المخالفة لفطرة البشر، وقد كانت تلك الطبائع غير السويّة سببا في تهيئة الجو للإلحاد عبر التاريخ، فإليها يعود اهتزاز عقيدة الأمة[53]، وتجنيد أتباعها في سلك مخاصمة دينهم، ولعل أهم ما يحاولون تجنيد الأمة فيه العولمة، بجعلها ضرورة واقعية لا مناص منها[54]

ب- العداوة تعمي:[55]

العداء ظلم في نظر الحكمة، إذ العداء لا يجتمع مع المحبة، فهو كالظلمة لا يجتمع مع النور المعبّر عن المحبة، بل يعد معدن الشر المستطير المهيمن على النفس، فما وجد والشر وحوفظ عليه إلا بسبب العداوة والبغضاء الساكنة في سويداء القلب، حتى أنّ أسباب العداوة والبغضاء إذا تغلبت وتمكنّت من القلب، فان المحبة تنقلب عندئذ إلى محبة شكلية تلبس لبوس التصنع والتملق.[56]

ج / ذهاب الإخوان و هيمنة الأحزان:

العداوة ظلم للنفس وسبب في ملء القلب حقدا على الإخوان، فضلا عن ظلمه لنفسه بتجاوزها لحدود رحمة الله، حيث أنّه بالحقد والعداوة يوقع نفسه في عذاب أليم، فيقاسي عذاباً كلما رأى نعمة حلّت بخصمه، ويعاني ألماً من خوفه. وان نشأت العداوة من الحسد فدونه العذاب الأليم، لان الحسد اشد إيلاما للحاسد من المحسود حيث يحرق صاحبه بلهيبه، أما المحسود فلا يمسه من الحسد شئ، أو يتضرر طفيفاً.[57]

هذا عن العداوة في شكلها الفردي، أما عداوة المجتمع فإن خطرها أفتك وأشدّ على الأمة، وذلك لدوره التدميري، إذ سيسعى كل واحد من المتعادين إلى ترويج مسلكه

وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، مع العمل على هدم مسلك الآخرين والطعن فيهم من أجل إبطال مسالكهم، ذلك هو الاختلاف السلبي الذي قوامه تخريب سبل المخالف بكل ما أوتي من قوة[58]، وهو منهج العولمة في توظيف أبنائنا وبني جلدتنا من أجل تقويض حاضرنا بل وكل ما من شأنه أن يسهم في صناعة مستقبلنا.

د- طريق الندامة:

حمل العداء للإخوان بالعمالة للقطاء الشيطان، سبب قوي في تجرّع عذاب الندامة على اقترافها، فقد ثبت لدى الشيخ معاينة أن العذاب عقاب معجّل للسيّئات[59]، وعلى رأس تلك السيّئات عداوة الأمة والعمالة لأعدائها وعلى رأسهم في زماننا فكر الغالب الوقتي — العولمة –

هـ – القومية من أسس العداوة:

تستثمر الأفكار الدخيلة الفكرة القومية لتسهم في تفريق الأمة وتمزيق أوصالها، فقد تدثّرت الحركات الإلحادية باسم القومية في عالمنا الإسلامي، وهذا سيكون سببا في قهرهم أمام الفوضى والإرهاب الذي يتستر تحت ستار الكفر المطلق الذي يسعى لإبادة العالم الإسلامي[60]

و- العداوة استخفاف بالروابط الإسلامية:

إن غرور الإنسان وحبّه لنفسه قد يقودانه أحيانا إلى عداء إخوانه المؤمنين ظلماً ومن دون شعور منه فيظن المرء نفسه محقاً. مع أن مثل هذه العداوة تعدّ استخفافاً بالوشائج والأسباب التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض – كالإيمان والإسلام والإنسانية – وحطاً من شأنها. وهي أشبه ما يكون بحماقة من يرجّح أسبابا تافهة للعداوة كالحصيات على أسباب بجسامة الجبال الراسيات للودّ والمحبة.[61]

علاج العداوة:

أ – ضبط العداوة:

ضبط العداوة يخرجها من دورها السلبي التدميري إلى رحاب الإيجابية والفعالية، ومرد ذلك إلى عداوة ما في قلب المعادى لا لذاته، وذلك بمعاداة ما في قلبك من العداوة، ويقتضي هذا السعي المستمر إطفاء نارها واستئصال شأفتها، وطريق ذلك معاداة أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك، قاوم هواها، واسع لإصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها، وإن كنت تريد العداء أيضا فعاد الكفار والزنادقة، فهم كثيرون، واعلم أن

صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما أن خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شئ آخر.[62] وزنادقة هذا الزمان الذي يوجب حب الله عداوتهم، أعداء دينك بأي لون ظهروا وفي أي لباس تلبّسوا، سواء ألحدوا أو تفلسفوا أو تعولموا.

ب – الاقتصاد في العداوة:

لا ينبغي أن تحرمنا العداوة من النظر بموضوعية إلى أفكار مخالفين، فإننا وإن عاديناهم في بعض القضايا فينبغي أن تكون مواقفنا منهم بحسب ما نراه فيهم مما يوجب العداوة، فليس كل ما فعله العدو عدوا من حيث هو، بل قد يفعل ما يوجب استثماره والاستفادة منه من غير نظر إلى الفاعل نفسه، وعلى هذا فان محبتنا لهم ما هي إلاّ لاقتباس ما استحسناه من مدنيتهم وتقدمهم ولأجل المحافظة على نظام البلاد وأمنها الذي يُعدّ أساس سعادة الدنيا، فهذه الصداقة ذا لا تدخل قطعاً ضمن النهي القرآني.[63] من هذا المنطلق تعادى العولمة بالنظر إلى ما تعمل على تحقيقه من نفي وإقصاء لثقافتنا، أما وسائلها المادية والتقنية فهي حل لنا، إذ لا يمكن الاستغناء عنها أو إبعادها بسبب مكان ولادتها أو جنسية أو فلسفة مخترعها.

ج – العمل على إزالتها:

تستأصل شأفتها بالمحبة والفضيلة والمنفعة والتقارب والاستقبال بالبشر والابتسامة[64]، وبهذا نصون أبناءنا من التجنّد في سلك أعداء أمتهم، فالتلطّف معهم واجب صيانة لهم وحفاظ على الأمة ومصالحها.

التأسيس لجيل شهم يضحي بعناده وأغراضه الشخصية وعداوته لأجل سلامة أمته وراحة المسجونين والنجاة من إفساد المتسترين الذين يعملون بخفاء لصالح الفوضى والإرهاب ويلقحون أفكار الناس بالشيوعية – بالعولمة في الحاضر–، فيضحون بتلك العداوة التي لا فائدة فيها قطعاً بل فيها ضرر كبير ولاسيما في هذا الوقت العجيب.[65]

د– الحب دواء العداوة:

إذا وجدت المحبة بحقيقتها في القلب فان العداوة تنقلب حينئذ إلى الرأفة والشفقة. فهذا هو الوضع تجاه أهل الإيمان. أما إذا وجدت العداوة بحقيقتها ... إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية و أمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعة.[66]

رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض:

إن الذين يشنون هجومهم على الدين – في كل عصر – يريدون أن يرجعوا بالبشرية إلى عهود البداوة والجهل بقانون أساسي ودستور جار لديهم متسترين باسم المدنية، والذي يفني سعادة البشرية وراحتها وعدالتها وسلامتها.فهم يريدون أن ينفذوا هذا القانون في بلادنا المنكوبة فيزرعون بذور الشقاق والاختلاف وبلبلة الأفكار بالتحزب وصولاً إلى مآرب شخصية وإشباعا للحرص والعناد.[67] والعولمة ليست بغريبة عن هذا المسلك ولا هو بغريب عنها، تؤسس مسلكها على تجهيل الناس دينهم باسم المدنية والعلم وحقوق الإنسان و.. لهذا فهي بداوة جديدة، هدفها تمكين الغلبة لفكر واحد هو مسلك الغالب.

أ- الجهل أساس الضلال الفكري والاجتماعي:

إخلاف الوعد مضاد لعزة قدرته، ومناف لإحاطة علمه، حيث لا يتأتى إخلاف الوعد إلا من الجهل أو العجز. وهو أساس الضلال المولّد للزندقة ومسوّق أفكارها[68]

ب – أساس الغفلة ومجلبة الوساوس:

الجهل مركب النوم والغفلة ووسيلته الكسل، وهو مجلبةٌ للوساوس، لهذا يقول الشيخ ناصحا:" أيها الأخ المبتلى بداء الوسوسة! ليت شعري هل تعلم بماذا تشبه وسوستك؟. إنها أشبه بالمصيبة؛ تبدأ صغيرة ثم تكبر شيئاً فشيئاً على مدى اهتمامك بها، وبقدر إهمالك إياها تزول وتفنى، فهي تعظم إذا استعظمتَها وتصغر إذا استصغرتَها. وإذا ما خفتَ منها داستك ودوّختك بالعلل، وان لم تَخَفْ هانَتْ وخَنَستْ وتوارت. وان لم تعرف حقيقتها استمرت واستقرت، بينما إذا عرفت حقيقتها وسَبَرتَ غورها تلاشت واضمحلت. فما دام الأمر هكذا فسأشرح لك خمسة وجوه، من وجوهها التي تحدث كثيراً. عسى أن يكون بيانها – بعون الله – شفاء لصدورنا. ذلك لأن الجهل مجلبةٌ للوساوس، بينما العلم على نقيضه دافع لشرها. فلو جهلتها أقبلت ودنتْ واذا ما عرفتها ولّت و أدبرت[69].

ج- الجهل سبب في تضييع الأمانة وتضييع أنوار الحياة:

يرجع تضييع الأمانة الاجتماعية والمعرفية إلى الجهل، فالمتلبّس بالخيانة للأمانة، إنما هو في جهل مطبق بل هو أجهل الجهلاء، يتخبط في درك جهالة مركبة حتى لو علِمَ آلاف العلوم والفنون، ذلك لأن ما تتلقفه حواسُه وأفكاره من أنوار المعرفة المبثوثة في رحاب الكون لا يجد في نفسه مادةً تصدّقه وتنوّره وتديمه، لذا تنطفئ كل تلك المعارف، وتغدو

ظلاماً دامساً؛ إذ ينصبغ كل ما يرِد إليه بصبغة نفسه المظلمة القاتمة، حتى لو وردت حكمةٌ محضة باهرة فإنها تلبس في نفسه لبوس العبث المطلق؛ لأن لون "أنا" في هذه الحالة هو الشرك وتعطيل الخالق من صفاته الجليلة وإنكار وجوده تعالى. بل لو امتلأ الكون كله بآيات ساطعات ومصابيح هدىً فان النقطة المظلمة الموجودة في "أنا" تكسف جميع تلك الأنوار القادمة، وتحجبها عن الظهور.[70] فالغارق في ذاته – مهيّأ بسبب جهله – لتضييع الأمانة التي كانت ومازالت وستبقى وشيجة قوية تربطه بالمجتمع، فمن ضيّعها جنّد بيسر فيما يضر بأمته حاضرا ومستقبلا.

د- الجهل من أهم مداخل الأبالسة[71]

أبالسة البشر كإبليس يعملون على إقناع جماعة من الناس بسبب جهلهم، بما ينقض أساس أمتهم، فقد كان الجهل وسيلة السقوط في شراك المعاصي والاستسلام للأبالسة على مرّ التاريخ، فالخاضع للكفر يستسلم ضرورة لمقاصده الاجتماعية والفكرية، لهذا كان الجهل خطرا على الشأن الاجتماعي بدرجة خطورته على مبادئ العقيدة إن لم يكن أشد، ذلك أن الإيمان والكفر يتجليان في الموقف الاجتماعي والفكري.

هـ – الجهل أساس النفور الاجتماعي:

العولمة وغيرها من الأفكار المشابهة، أفكار مجحفة ظالمة خادعة، كانت كسابقتها سببا في افتتان أبنائنا بها ونفورهم من أمتهم، بسبب روح الانفرادية بدلاً من روح التضحية والفداء لها. فيثبت بهذا كله انه لا يملك حمية للأمة وانه مبتوت الأصالة، فيكون جانياً منفوراً منه في نظر الحقيقة بحيث يتصرّف تصرّف الأحمق الأبله، كمن يحاول إلباس ملابس أعجبته لراقصة ساقطة في باريس عالماً فاضلاً في المسجد.[72]

و- الجهل من الانقلاب السياسي:

تحيين كلام النورسي في هذا المقام، يبيّن أن من يتوجّس خيفة على دينه من انقلاب سياسي أو فكري للعولمة أو غيرها، فليس له نصيب من الدين "إلا الجهل" – الواهي كبيت العنكبوت – الذي يدفعه إلى الخوف، وليس له إلاّ "التقليد" الذي يرميه في أحضان الاضطراب والارتباك..[73].

ز- الجهل سبب في الفرقة و التعصّب[74]

لا يلتئم الاتحاد والجهل، فالجهل أبو الفرقة لأنه لا يسمح بامتزاج الأفكار، بسبب التعصّب المهيمن على العقول والقلوب، وأخطر أنواع التعصّب هو ذلك الذي يحمله قسم من مقلدي أوربا وملحديها سابقا والعولمة حاليا، لما يصرّون بعناد على شبهاتهم

السطحية، وهذا شأن الجهلاء بدينهم المقلدين لغيرهم.[75]، لهذا كان الجهل بمثابة قوة العدو فينا[76]، ذلك أن الجهل والتعصب المتفشيان فينا قد ساعدا أوروبا سابقا والعولمة حاليا لتحمل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين الاستبداد.

ح- يولّد شماتة الأعداء:

تفشي الجهل في الأمة يسبب شماتة الأعداء ويدفع إلى الاضطرابات وانتشار الشبهات والأوهام فيما بينهم وهذا ما يدعو أهل الغيرة والحمية إلى التأمل[77]، ودفع ما يزيل شماتة الأعداء بالعلم والتواصل.

2- دواء الجهل:

أ - دواء الجهل العلم:

فاعلية العقيدة الإسلامية في حياة المسلم، بما فيها من ألماس وجواهر ودرر الأحكام، وما حطّ قيمته إلاّ الجهل الذي يحط من قيمتها وينفّر طالبيه من متحري الحقيقة[78]، فقد كان الجهل بحقيقة الإسلام سببا في إبعاد ما هو من الدين وإقحام ما ليس منه فيه، لهذا كان العلم به سببا في قطع الطريق على المتصيّدين بالجهل تجنيدا للجهلة في سلك خدمة الأفكار الوافدة.

ودواء ذلك الكر على الجهل والفقر بالعلم والصنعة، إن عدونا الجهل والضرورة والاختلاف، ومجاهدة هؤلاء الأعداء الثلاثة بسلاح الصناعة و المعرفة والاتفاق[79]

ب- التذكير بالقرآن الكريم:

يعد القرآن دواء فاعلا في مواجهة الجهل، ذلك أنّ أوائل اكثر الآيات القرآنية وخواتمها، تحيل الإنسان إلى العقل قائلة: راجع عقلك وفكرك أيها الإنسان وشاورهما، حتى يتبين لك صدق هذه الحقيقة. فانظروا مثلاً إلى قوله تعالى (فاعلموا.. فاعلم.. أفلا يعقلون.. أفلم ينظروا.. أفلا يتذكرون.. أفلا يتدبرون.. فاعتبروا يا أولى الأبصار..) وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري. فهي تسأل: لِمَ تتركون العلم وتختارون طريق الجهل؟ لِمَ تعصُبون عيونَكم وتتعامَوْن عن رؤية الحق؟ ما الذي حملكم على الجنون وانتم عقلاء؟ أي شئ منعكم من التفكر والتدبّر في أحداث الحياة، فلا تعتبرون ولا تهتدون إلى الطريق المستقيم؟ لماذا لا تتأملون ولا تحكّمون عقولكم لئلا تضلوا؟.[80]

ج – إنشاء المؤسسات العلمية:

تحقيق المقصود من الإيمان والتذكير بالقرآن لا ينفع ما لم يتحوّل ذلك التصوّر إلى جهد مؤسساتي، وسبيل ذلك إنشاء الجامعات لنـــزيل الجهل الذي هو داء وبيل[81]

خامساً: سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة:

1 - خطورة الاستبداد:

الاستبداد خطر من حيث هو، بصرف النظر عن مصدره، فإنه إن كان معيبا باسم الأنظمة السياسية المحلية، فإنه أخطر حال تلبّسه بالفكر في أساليب تلبيسية، كالعولمة القائلة بحالها ليس لكم مني مفر، لهذا كان حديثنا عن الاستبداد حديثا عما يتركه من آثار وخيمة على الفكر الإنساني بصفة عامة.

أ-الاستبداد سبب في الآهات:

كان وسيبقى الاستبداد بجميع أصنافه – الفكرية والسياسية - سببا في الصراخات والآهات جميعها، لأنها تصدر من تحت مخالبه، وخاصة ذلك الذي يسكننا، ويقوم سدا منيعا مظلما جائرا إزاء الحرية، رافعا لواء الوحشية[82]

والمتصفّح لأحوال العالم وما تتناقله الوكالات، يدرك أننا أمام خطر استبداد جديد متدثر بالاقتصاد والثقافة

ب – منبع تكدّر سعادتنا:

أنصار الاستبداد - على تنوّعه - رأوا الظلم فامتلأت قلوبهم غيظا ورغبة في الثأر، فيثيرون الآخرين للإخلال بالأمن ويهيّجونهم للقيام بالاضطرابات كي يتشَفّوا بإنـــزال العقوبة بهم، وتأديبهم.[83]

ج – الاستبداد وقلب الموازين:

يستدعي العيش بفكر النورسي تأوينه بما يتلاءم والمعطيات العولمية الجديدة، إن زماننا لا يختلف عن الزمان الذي سماه شيخنا، زمان يخفي الضد ضده، وإذا باللفظ ضد المعنى في لغة السياسة. وإذا بالظلم يلبس قلنسوة العدالة، وإذا بالخيانة ترتدي رداء الحمية بثمن زهيد. ويُطلق اسم البغي على الجهاد في سبيل الله ويسمّى الأسر الحيواني والاستبداد الشيطاني حرية.[84] أليست هذه صفات العولمة في عصرنا هذا؟ لهذا فإن نص النورسي يخترق الزمان ليشمل كل مستبد سواء لبس قلنسوة أو قبعة إفرنجية أو تلبّس بالسياسة أو الاقتصاد.

لقد كان الاستبداد سببا في قلب الموازين، فيسمي القهر حرية، فقد كبّلت قوة سابقة بثلاثمائة موظف ثلاثمائة مليونا من خصومهم، وكذلك فعلت القوة الجديدة، إذ تريد لعدد معيّن من المتحكّمين الاستبداد بخيرات العالم، أعطت قوانينها - كسابقاتها -

الجائرة اسم العدالة والانضباط، فخدعت العالم ودفعته إلى دار الظلم، هذه الفكرة غدت مقتدى كل استبداد قادم[85]

د – الاستبداد سبب في الرشوة والفساد الإداري:

تيار الزندقة والعولمة الذي يحكم بالاستبداد المطلق والرشوة العامة قد سعى لتعذيبنا وإفنائنا في سبيل إرضاء أعداءنا[86]. ذلك لأن الاستبداد ظلم وتحكم في الآخرين[87]

هـ – الاستبداد مؤسس للمعاملات الاعتباطية:

الاستبداد هو التحكم أي المعاملة الكيفية – الاعتباطية – أي الجبر باستناد القوة، أي الرأي الواحد، أي المساعد لتطرق سوء الاستعمالات، أي المفتوحة أبوابه لتداخل المفاسد، وما هو الاّ أساس الظلم، وماح الإنسانية. وهو الذي دحرج الإنسان المكرّم إلى اسفل سافلين في السفالة.. وهو الذي أوقع العالم الإسلامي في المذلّة.. وهو الذي أيقظ الأغراض والخصومات.. وهو الذي سمم الإسلامية.. وهو الذي سرى سمّه في أعصاب العالم الإسلامي.. وهو الذي أوقع الاختلافات المدهشة...[88]

2 – دواء الاستبداد:

أ – التضحية:

يقبل أهل الشهامة وأهل الديانة ومناصري الحرية على مواجهة الاستبداد، ودفع أعزّ ما يملكون، حتى ولو لم يبق أمامهم إلا الموت أو دخول السجن لدخلوه[89]

ب – رسائل النور:

تقوم رسائل النور بتحطيم الكفر المطلق – الذي أسفله الفوضى وأعلاه الاستبداد المطلق – وتفتيته وردّه على أعقابه. واكبر برهان على ذلك هو رسالة "الثمرة" التي هي بمثابة دليل واحد من بين مائة حجة ودليل على أن رسائل النور تسعى لتأسيس الأمن والنظام والحرية والعدالة في هذا البلد، لذا اطلب تكليف هيئة علمية واجتماعية عالية لتدقيق هذه الرسالة، فان لم تقتنع هذه الهيئة بما أقول فإنني أرضى بكل عقاب وبأي نوع من أنواع الإعدام.[90]

ج – إنشاء الجامعات بنور القرآن:

يجب مجابهة المؤامرات في كل وقت مستمدا القوة من القرآن العظيم، وإنشاء جامعة ضخمة. فمنذئذ نسعى لإنقاذ آخرتنا. وإحدى ثمراته في الدنيا إنقاذ حياتنا الدنيوية من الاستبداد المطلق والنجاة من مهالك الضلالة وإنماء علاقات الاخوة بين الأقوام الإسلامية.[91]

د – طلب الثواب يدفع الاستبداد:

الحرية أول ركن من دساتير الحياة، وان سلب الحرية بحبائل الأوهام الكاذبة وتقييدها بقيود الاستبداد والطغيان يجعلنا نملّ مللا شديدا حتى نفضّل القبر على هذه الحالة فضلا عن السجن والحبس، إلا أنّ الذي يشد أزرنا ويدفعنا إلى الصبر والتحمّل هو الثواب الذي يجزل بحسب المشقة في سبيل خدمة الإيمان.(92)

هـ– الإسلام يدفع الاستبداد:

يختلف المسلم عن أفراد الأمم الأخرى، إذ لو تخلّى عن دينه فلا يكون إلا إرهابيا فوضويا لا يقيده شيء أيا كان، بل لا يمكن إدارته بأيٍ من وسائل التربية والإدارة إلاّ بالاستبداد المطلق والرشوة العامة.(93)

ورفع أنواع الاستبداد عنهم إنما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية، تلك الحرية الشرعية التي تتزين بالآداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية.(94)

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

ولمعالجة هذه الأمراض الستة الفتّاكة، أبيّن ما اقتبسته من فيض صيدلية القرآن الحكيم الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الاجتماعية – أبيّنها بست كلمات، إذ لا اعرف أسلوبا للمعالجة سواها.

1 – أساس الفكر الإقصائي:

المنفعة والصراع أساس التفاعل مع الآخر:

النورسي وهو يتحدّث عن المدنية الحاضرة في وقته كأنه يتحدّث عن مدنيتنا الحاضرة، فهما مشتركتان في كثير من الصفات، لهذا يحمل كلامه عن المتقدمة على المتأخرة ضرورة، يقرر هذه الحقيقة قوله: "المدنية الحاضرة تؤمن بفلسفتها: أن ركيزة الحياة الاجتماعية البشرية هي "القوة" وهي تستهدف "المنفعة" في كل شئ. وتتخذ "الصراع" دستوراً للحياة. وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطةً للجماعات. وغايتها هي"لهو عابث"لإشباع رغبات الأهواء وميول النفس التي من شأنها تزييد جموح النفس وإثارة الهوى. ومن المعلوم أن شأن "القوة" هو "التجاوز". وشأن "المنفعة" هو "التزاحم" إذ هي لا تفي بحاجات الجميع وتلبية رغباتهم. وشأن "الصراع" هو"التصادم" وشأن "العنصرية" هو "التجاوز" حيث تكبر بابتلاع غيرها."(95)

الدواء التطلّع إلى المنفعة الحق:

أ – القرآن ضابط المنفعة:

يقبل على المنفعة وفق حكمة القرآن، التي تقبل"الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلا من القوة، وتجعل رضى الله ونيل الفضائل هو الغاية والهدف بدلا من المنفعة[96]، التي جعلتها الفكرة الغالبة في كل وقت مقصدها ومحرّك مشاريعها.

ب – المنفعة المبرهن عليها:

ترجيح المنفعة العامة على الخاصة، المرتبطة برغبات إنسانية؛ لذا لا يثبت المدّعى بغير البراهين القاطعة. فنحن أبناء الحال الحاضرة والمرشحين للمستقبل لا يشبع أذهاننا تصوير المدّعى وتزيينه بل نطلب البرهان.[97] وبهذا نقطع الطريق على الأفكار المتلبّسة بالمنفعة وهي بعيدة عنها كل البعد، بغرض تعريتها وغرس مواجهتها في قلوب أفراد الأمة، وذلك بسبب ظلمها وعدوانها.

الخاتمة:

يتجلى مما سلف أن الأمم ما تمرض باستغلال الأفكار المهيمنة التي تستغل: حياة اليأس الذي يجد فيهم أسبابه، بسبب: موت الصدق في حياتهم الاجتماعية والسياسية، حبا منه للعداوة، المتسرّبة إليهم بفعل الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض. زيادة إلى سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة، المسقية بحصر الهمة في المنفعة الشخصية. وقد بيّن بديع الزمان خطورتها وطرق علاجها، وخلاصة العلاج اكتشاف نقطة الاستناد المستفادة من صيدلية القرآن الكريم، إنّك باكتشافها والاستناد إليها يمكن أن تحرّك العالم وليس العولمة فحسب، وبالتالي لا يمكن أن تخيفك العولمة مهما قويت شوكتها وعلا صوتها، فإنها آيلة إلى الزوال ويبقى الإنسان، لأنها تحمل بذرة فنائها فيها بحكم تأسيسها على اليأس والجهل والعداوة والمنفعة الشخصية زيادة إلى الاستبداد، وهو ما تعافه الأنفس الشريفة وتدفعه بكل ما تملك، ذلك أنها أمراض الأمم، والأمم مجبولة على دفع أمراضها، وما علينا إلا مساعدتها بما يدفع تلك الأمراض وفق الخطة التي رسمها بديع الزمان النورسي رحمه الله.

الهوامش

1 / فوكوياما
2 / انظر كتابنا- بالاشتراك- العولمة من منظور شرعي، دار المحامد للنشر والتوزيع، الأردن عمان، الطبعة الأولى 2002
3 / انظر العولمة من منظور شرعي
4 /الخطبة الشامية المقدمة، صيقل الإسلام 492
5 / المهدي المنجرة في كتابه عولمة العومة /منشورات الزمن، سبتمبر 2000 ص20
6 / المرجع نفسه 28
7 / انظر العولمة من منظور عربي / الدكتو رلحبيب الجنحاني(من أبرز المنتصرين)
8 / جعلها صالحة للحين
9 / صيقل الإسلام 369
10 / صيقل الإسلام/السانحات – ص: 368
11 / انظر صيقل الإسلام 368
12 /راجع كتابنا العولمة من منظور شرعي
13 / الكلمة الرابعة عشرة – ص: 195
14 / الكلمة الثانية والثلاثون – ص: 757 اللمعة الثالثة عشرة – ص: 117
15 / صيقل الإسلام/المناظرات – ص: 405
16 / اللوامع – ص: 854، 873
17 / اللوامع – ص: 894
18 / المكتوبات 51، صيقل الإسلام (الخطبة الشامية) 505
19 / المرجع نفسه
20 / المكتوبات 96-99
21 / اللمعة الثالثة عشرة – ص: 115
22 / انظر إشارات الإعجاز – ص: 96
23 / صيقل الإسلام23، 505
24 / المرجع نفسه، انظر صيقل الإسلام 505 ، 515، 506، 528، 545
25 / الكلمة الرابعة والعشرون – ص: 391، الشعاعات 119
26 / انظر صيقل الإسلام 369
27 / الكلمات 542
28 / الكلمات 576
29 / اللمعات 352
30 / الشعاعات 249
31 / انظر اللمعات 34، 326

32 / انظر اللمعات 344
33 / انظر الشعاعات 229، 281، صيقل الإسلام 422
34 / الشعاعات 242
35 / انظر الملاحق 125، و صيقل الإسلام 381
36 / الشعاعات 391
37 / انظر الشعاعات 401، 102
38 / انظر كتابنا العولة من منظور شرعي، وانظر حوارات من أجل المستقبل/ طه عبد الرحمن 132-133
39 / انظر الملاحق 46
40 / انظر الملاحق 117
41 / انظر في هذه المعاني الملاحق 275، صيقل الإسلام 49، 99، 355،
42 / المكتوبات 64، انظر اللمعات 854
43 / انظر صيقل الإسلام 143
44 / صيقل الإسلام 506
45 / الإعجاز 97، صيقل الإسلام 507
46 / انظر المثنوي العربي 68
47 / انظر صيقل الإسلام 417، 505
48 / انظر صيقل الإسلام 143، إشارات الإعجاز 166
49 / صيقل الإسلام 506
50 / صيقل الإسلام 508
51 / انظر صيقل الإسلام، المثنوي العربي 14
52 / صيقل الإسلام 508
53 / انظر اللمعات 879
54 /انظر العولمة من منظور عربي/الحبيب الجنحاني
55 / انظر المكتوبات 138، 340
56/ انظر المكتوبات 340
57 / المكتوبات 344
58 / انظر المكتوبات 347، 351
59 / انظر اللمعات 434
60 / انظر الملاحق 304، السيرة الذاتية 378
61 / صيقل الإسلام 509
62 / انظر المكتوبات 343
63 / انظر المثنوي العربي 158، صيقل الإسلام 400
64 / اللمعات18، 856

65 / الشعاعات 549
66 / صيقل الإسلام 509–510
67 / الملاحق 378
68 / انظر الكلمات 84، 199، المكتوبات 28
69 / الكلمات 297، وأمظر 303
70 / الكلمات 446، 639، 796
71 / انظر اللمعات 135، انظر المثنوي 97، الملاحق 53
72 / انظر صيقل الإسلام 370
73 / انظر صيقل الإسلام 388
74 / انظر صيقل الإسلام 421، 430
75 / أنتظر السيرة الذاتية 305
76 / انظر صيقل الإسلام 443، السيرة الذاتية 83
77 / السيرة الذاتية 498
78 / انظر صيقل الإسلام 66، 94
79 / انظر صيقل الإسلام 463، السيرة الذاتية 94، صيقل الإسلام 527
80 / صيقل الإسلام 495
81 / انظر السيرة الذاتية 80
82 / انظر صيقل الإسلام 397، 410
83 / انظر صيقل الإسلام 389، الكلمات 172
84 / اللمعات 849، صيقل الإسلام 467
85 / الملاحق ، صيقل الإسلام 382126
86 / انظر الملاحق 332
87 / انظر السيرة الذاتية 94
88 / السرية الذاتية 75
89 / انظر الشعاعات 332
90 / الشعاعات 334
91 / انظر الملاحق 416
92 / انظر الملاحق 232
93 / انظر الملاحق 306
94 / انظر صيقل الإسلام 527
95 / الكلمات 472
96 / انظر الكلمات 472
97 / انظر صيقل الإسلام 50